Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 19:5 (1984

تدوين القرآن الكريم و تراجمه

د . محمد حميدالله

الكتب المنزلة قبل القرآن

روى ابن العربى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مائة ألف آدم ، ونحن من أولادهم (١) . وروى أحمد بن حنبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله أرسل منذ آدم عليه السلام مائة وأربعا وعشرين ألف من الأنبياء من بينهم ثلاث مائة وخمسة عشر صاحب رسالة . (٢)

من هذه الكتب المنزلة ، ماعزى الى آدم عليه السلام ، والى ابنه شيث عليه السلام ، ولم يبق لنا منهما عين ولا أثر . ومنها ماعزى الى ادريس (أنوخ) عليه السلام ـ فى الجيل السابع من آدم كما أكد التوراة ـ وكان اقتبس منه رسالة يهودا فى العهد الجديد بشارة آخر الأنبياء ، ووجدوا حديثا مخطوطة حبشية لكتاب أنوخ فيما وجدوا فى منارة البحر الميت ، فى الأردن . وفيها هذه البشارة وأيضا أشياء مالايمكن أن تكون منها من الحوادث التى وقعت بعد زمن أنوخ عليه السلام . وفى العراق توجد الى يومنا هذا طائفة من الصابئين يدعون أنهم لايزالون يتبعون دين نوح عليه السلام ، وأنه كان عندهم فى قديم الزمان كتاب نوح عليه السلام وضاع ولم يبق الا عدة أسطر من

الأوامر الأخلاقية .

وذكر القرآن الكـريم بالصراحة صحف ابراهيم عليه السلام ، (٣) واقتبس منها آيات ، وهذه الصحف معروفة عند اليهود والنصارى وأيضا ولكن بدون معلومات عن محتواها . أما صحف موسى عليه السلام فقد ذكرها القرآن مرارا عديدة ، وهى متداولة بين أيدينا ونجدها كخمس رسائل فى أول العهد القديم . ومن تاريخها أن السفر الخامس (كتاب التثنية) لم يعرف فى أول الأوامر . ولما مضى ستمائة سنة على موسى عليه وسلام ، جاؤا الى أحد ملوكهم بمخطوطة مجهولة وقالوا وجدناها فى مغارة . فسلمها الملك الى نبية لهم . وعند اليهود يجوز لأمرأة أن تكون نبية ـ فقالت : هى لموسى عليه السلام . وبالعموم فيما يتعلق بكتب موسى عليه السلام التى نسميها „ التوراة » فكانت عندهم الى زمن بخت نصر ملك بابل الذى حارب فلسطين واحتل بيت المقدس وجمع جميع مخطوطات التوراة وحرقها عن آخرها . فلما مضى عليه مائة سنة ، كان عندهم نبى اسمه عزرا (عزير ؟) عليه السلام ، فـأكد أنه يحفظ التوراة ، فأملاها لهم.

ثم بعد ذلك قاد أنطيوخوس جيوش الروم واحتل بيت المقدس وأتلف جميع مخطوطات التوراة ، وبعد زمن جاءت الروم تحت قيادة طيطوس وأتلفوا نسخ التوراة عن جديد . والذى بين أيدينا هو الاعادة الثالثة ، ولكن كيف وعلى أى أساس ؟ لانعرفه ـ ومع هذا نجد فيها بشارة النبى المنتظر . ومجرى زبور داؤد عليه السلام ماجرى للتوراة .

المجوس أيضا يدّعون كتابا ملهما من الله (على زردشت) واسمه أويستا . وبعد زمن تغيرت لغة البلاد لهجوم الأجانب واحتلالهم ،

ولذلت ترجموا خلاصة الاصل الى اللغات الجديدة . ولكن الذى يوجد الآن ليس منه الا العشر أو أقل منه . وفيه أيضا بشارة آخر الأنبياء „ رحمة للعالمين » . وعند البراهمانيين من الهند كتب دينية يدعون أنها منزلة من الله (وفيها أيضا بشارات لآخر الانبياء) ، مثل ويدا ، وپرانا ، وگيتا ، واپانيشدا ، وقال البيرونى انها تداولت على الألسن فحسب ولم تكتب الا قبيل سفره الى الهند .

ان عيسى عليه السلام جاء بالانجيل وبلغه شفاهيا ، ولم يكتبه ولم يمله ، كأنه خاف أن يصيبه ما أصاب التوراة ، فأراد أن يبقى فى قلوب المؤمنين به ، وبعد زمن طويل بدأ حواريون ومن تبعهم أن يدوّنوا ماحفظوا من سيرة عيسى عليه السلام ، وسمى كل واحد من هؤلاء المؤلفين ذكرياته باسم الانجيل . ويوجد أكثر من سبعين كتابا ، اسم كل واحد منها الانجيل . والكنيسة انتخبت أربعة منها ولكن لانعرف متى ؟ وكيف ؟ وقالت ان الباقى منها غير موثوق بها . وفى الاناجيل المتداولة أيضا بشارات عيسى عليه السلام عن النبى الأخير .

هذه خلاصة ماحدث لكتب أنبياء السلف عليهم الصلاة والسلام .

القرآن و تدوينه

تولد نبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكة فى سنة ٥٦٩ للميلاد (وأخطأ من زعم سنة ٥٧٠ أو ٥٧١) . كان التقويم بمكة على سنة شمسية ولم يلغه النبى عليه السلام الا فى حجة الوداع ، ثلاثة أشهر قبل وفاته ، وبما أنه توفى سنة ٦٣٢ للميلاد وكان سنة ٦٣ سنة ، فلابد من أن كانت ولادته فى ٥٦٩ للميلاد ، على كل حال لما بلغ أربعين سنة ، أوحى الله اليه فى شهر رمضان (أى

ديسمبر ٦٠٩) ، وكان أميا لايقرأ ولا يكتب . ومن لطيف حكمة الله أن الوحي الأول (ســورة ٩٦ ، آيات ١ ـ ٥) الى النبى الأمى كان أمرا بتعلّم القراءة وثناء على القلم والمعرفة لما لم يعلم قبل . ثم قضى الله فى حكمته البالغة فترة ثلاث ســنوات فى الوحى كى يستعد النبى الأمى لأدا واجبات النبوة ـ ثم انه تكرر نزول الوحى ودام لعشرين سنة أخرى الى وفاته فى ربيع الأول سنة ١١ للهجرة ـ ٦٣٢ م .

وأعتنى النبى عليه السلام بجمع ماكان ينزل عليه من وقت الى آخر على الطريق الآتى :

ذكر ابن اسحاق (٤) : كان اذا نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأه على الرجال ثم على النساء . ثم يدعو كاتبا فيملى عليه. روى البخارى (٥) : لما نزلت „ لايستوى القاعدون الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم : أدع لى زيدا ، وليجئنى باللوح والدوات والكتف ثم قال : أكتب . . . » وروى الهيثمى (٦) „ عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتبب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان اذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ، ثم سرى عنه . فكنت أدخل بقطعة المسب أو كسرة فأكتب وهو يملى على . فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشى على رجلى أبدا . فاذا فرغت قال : اقــرأه . فأقرأه . فــان كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به الى الناس ، رواه الطبرانى باسنادين رجال أحدهما ثقاتِ .، . فكان من شدة احتياطه صلى الله عليه وسلم أنه كان يمــلى ثم يطلب أن يقرأ الكاتب ماكتب ليصحح لــو أخطأ . ولا بأس بأن نلفت نظر القارى الى مــاقال الهيثمى أن هذا الحديث بعينه مروى باسنادين رجال أحدهما ثقات ، أى حتى غير الثقات لايكذبون

دائما . (وهذا فى المعجم الاوسط للطبرانى) .

ان مانقلناه عن زيد بن ثابت يتعلق بما بعد الهجرة . ولا بد من أن يكون كذلك فى مكة قبل الهجرة أيضا لأن كتابة القرآن مذكورة فى السورة المكية من القرآن مثلا : „ وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (الفرقان ٣٥ ـ ٥) „ انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون » (الواقعة ٥٢ ـ ٧٧ ـ ٧٩) „رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة » (البينة ٩٨ ـ ٣٢).

وفى الحديث أيضا ذكر كتابة القرآن قبل الهجرة . مثلا :

١) أسلم سيدنا عمر رضى الله عنه فى السنة ٥ للبعثة بعدما قرأ سورة طه (٧) ومعلوم أن سورة طه هى سورة ٢٠ تدوينا ، ٤٥ نزولا . ونقل السهيلى (٨) عن يونس أن الصحيفة (التى قرأها عمر) كان فيها مع سورة طه : „ اذا الشمس كورت » (وهى ٨١ تدوينا ، ٧ نزولا) .

٢) ذكر السمهودى (٩) : عن ابن زبالة أن رافع بن مالك الزرقى (الانصارى) لما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه فى العشر سنين التى خلت. قال : . وقدم به رافع المدينة فجمع قومه فقرأه فى مسجده . . . وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أ ' مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بنى زريق .

نزل القرآن نجما فى ٢٣ سنة . ولم يدونه النبى عليه السلام آليا حسب ترتيب النزول بل حسبما ألهمه الله فى الترتيب الذى بين أيدينا. ولم تنزل السور كاملة دفعة واحدة بل فى أثناء زمن طويل أو قصير . فتوجد فى سور مكية آيات نزلت بعد الهجرة ، وسور مدينة أدخلت فيها بعض مانزل قبل الهجرة . فمن البديهى أن النبى عليه السلام

كلما نزل عليه وحى صرح لكاتبه أين محل الوحى الجديد فى مجموعه القرآن الموجود فى ذلك الحين ، كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد . فكان اذا نزل عليه الشئ دعا من كان يكتب ، يقول : ضعوا هذا الآيات فى السورة التى يذكر فيه كذا وكذا (١٠) ، قال ذوات العدد أى نزول أجزاء سور متعددة فى نفس الزمن . فكان الكتاب يكتبونها موقتا على قطعات لخاف أو عظام أو أوراق . وعند تمام نزول سورة كاملة كان الكتاب يبيضونها فى حضور النبى عليه السلام . وهذا مانراه فى رواية الحاكم فى المستدرك والسيوطى فى الاتقان : عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال „ كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع „ ولما خرج به الكاتب الى المسلمين كانوا يأخذون النقول لأنفسهم .

وأمر النبى عليه السلام أيضا تلقى القرآن من أستاذ مستند أى رأسا من النبى فى أول الأمر ، ثم من الذين أذن لهم النبى عليه السلام تعليم الناس القرآن ، والحقيقة أن القراءة من نسخة مكتوبة لاتكفى لأنه يجوز أن تكون فيها إخطاء من سهو الكاتب ، أو اشتباه فى الخط العربى القديم الذى لم يعرف النقاط ولا علامات التشكيل للحروف . والقراءة من أجيال الاساتذة المستندين دامت الى يومنا هذا بين المسلمين . وهاكم كالمثال نسخة شهادتى من شيخ القراء الشيخ حسن الشاعر من المدينة المنورة ، وهى أفخر الشهادات العلمية عندى التى سعدت بحصولها فى عمرى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى أودع جواهر المعانى الضيائية فى قوالب زواهر المبانى من الحروف الهجائيه ، وأنزل القرءات بلسان عربى مبين بواسطة الروح الامين على رسوله خاتم النبيين ، وهو افصح من نطق بالضاد من بين العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه (بعد) فهذه اجازة صريحة من الفقير الى رحمة ربه القدير حسن بن ابراهيم الشهير بالشاعر المقرى والمدرس بالحرم الشريف النبوى الى ولده الشاب الرشيد الكامل محمد حميدالله بن ابى محمد خليل القاطن حيدر آباد دكن ، فانه قرأ على ختمة كاملة من أولها الى آخرها بالتحرير والتدقيق وقد استجازنى فأجزته بأن يقرأ بكلها رواية بشروطها المعتبره وهى تقوى الله تعالى فى السر والعلانية ، ولى منه الدعوات الصالحات فى الخلوات والجلوات كما أقرأنى واشترط على شيخى وأستاذى وحيد دهره وفريد عصره البصير بقلبه ، تغمده الله برحمته الشيخ حسين بن محمد بيوى وهو عن الشيخ محمد سابق وهو عن الشيل خليل المطوبسى وهو عن الشيخ على الأبيارى وهو عن الشيخ على الحلو بمكة المكرمة وهو عن الشيخ أحمد ابو سلمونة وهو عن الشيخ سليمان البيسانى وهو عن الشيخ أحمد الميهى عن ابيه الشيخ على الميهى (وح الينا) وهو عن سيدى محمد بن محمد الجزرى عن سيدى عبدالرحمن القسطنطينى عن سيدى عبدالرحمن الازميرى عن سيدى سلطان المزاجحى عن سيدى أحمد المسيرى عن ابى جعفر الشهير باولياء افندى (وح الينا) فاما رواية حفص فحدثنا بها ابو الحسن طاهر بن غلبوت المقرى قال حدثنا بها

ابو الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي المقرى بالبصرة قال حدثنا بها ابو العباس أحمد بن سهل الاشنانى على ابى محمد عبيد الصباح على حفص على عاصم وهو عاصم بن ابى النجودا ، وكنيته ابو بكر ، تابعى قرأ على ابى عبدالله بن حبيب السلمي و ذر بن حبيب الاسدى على عثمان وعلى وابن مسعود و أبى بن كعب وزيد بن ثابت على النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل جلاله وعم نواله .

راجى عفوربه القادر حسن بن ابراهيم الشاعر

ختم

فى ١٢ ربيع الاول ١٣٦٦

وزد على هذا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يحفظوا القرآن ويكرروا تلاوته مرات عديدة ، كل يوم فى صلواتهم وفى أوقات فراغهم آناء الليل واطراف النهار . ومع أنه لم يجب حفظ جميع القرآن على كل واحد من المسلمين ، ولكن نجد عددا لا بأس به من الصحابة حفظوا جميع القرآن فى حياة النبى عليه السلام ، ومن بينهم امرأة من الانصارة أم ورقة ، من قدماء المؤمنات ، وكانت أرادت أن تشترك فى جيش المسلمين فى غزوة بدر وكان سماها النبى عليه السلام اماما لمسجد وكانت تؤم الرجال والنساء من أهلها ، ولها مؤذن

الاعلان بين المسلمين والمسلمات عند كل وحى جديد ، وتدوينه كتابة ، وأمر التعلّم عند أستاذ مستند ، وحفظ القرآن وتكرار تلاوته طول العمر ، هذا ماكانت التدابير التى اتخذها النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل الهجرة ، رغم أذى المشركين ، ولما هاجر الى

المدينة ، ووجد سهولة أكثر لتبليغ الدين ، اتخذ تدبيرا جديدا مهما . فقد روى البخارى (١٢) ـ عن فــاطمــة عليها السلام أسر الى النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة وأنه عرضنى العام مرتين ، وما أراه الا حضر أجلى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود مايكون فى شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن . . . وعن ابى هريرة قال : كان يعرض جبريل) على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين فى العام الفى قبض وقال ابن كثير (١٣) المراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه اليه عن الله تعالـى ليبقـى مــابقـى ويذهـب مــانسخ ، توكيدا واستثباتا وحفظا ولهذا عرضه فى السنة الاخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين ، وعرضه به جبريـل كذلك ، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله . وعثمان رضى الله عنه جمع المصحف الامام على العرضة الاخيرة وكانت هذه العرضات معروفة . فكان لابد من أن يجى الصحابة حينئذ بنسخهم من القرآن ويقارنون على تلاوة النبى عليه السلام ويصححـون نسـخهم ، وذكر العـرضة الاخيرة كثير ، وكان يحضرها بين أخرين سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحى أيضا .

ويظهر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أراد فى أواخر عمره أن يستنسخ نسخة كاملة من القرآن كما نرى فى مانقله السيوطى (١٤) : « قال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن : „ كتابة القرآن ليست

بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والاكتاف والعسب . فانما أمر الصديق رضى الله عنه بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشرة فجمعها جامع وربط بخيط حتى لايضيع منها شئى » .

كان القرآن على هذه الحالة لما توفى النبى عليه السلام . ولما تولى أبو بكر الخلافة لم يشتغل به فى أول الامر ، ولكن حروب الردة اكرهته عليه فقد استشهد فيها كثير من القراء وحفاظ القرآن . وأول من تنبه بخطورة الحال هو سيدنا عمر فذهب الى الخليفة أبى بكر الصديق وقال : ان أصحاب الرسول يحبون الموت فى سبيل الله كما يحب آخرون الحياة ولن يزالوا فى المستقبل ، فلو أمرت بتبييضه فى صورة كتاب . فقد روى البخارى (١٥) ، : ان زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة (يقاتلون مسيلمة الكذاب) ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القران ، وانى اخشى ان يستحر القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فتتبع القرآن فاجمعه . فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى

الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . فتتبعت القرآن أجمعه من الخشب ، واللخاف ، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري ، لم أجدها مع أحد غيره : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . . . حتى خاتمة برأة . فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله ، ثم عمر حياته ، ثم عند حفصة رضي الله عنهم . (١٦)

روى السيوطي (١٧) عن الحارث المحاسبي : „ أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشرة ، فجمعها بجامع وربطها بخيط حتى لايضيع منها شئ „ كان النبي عليه السلام أراد في أواخر عمره تدوين نسخة كاملة للقرآن ، اما من تلقاء نفسه أو على طلب زوجته العالمة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ ويظهر ان تلك النسخة لم تكن كاملة والا لم يشتغل أبو بكر الصديق بجمع القرآن ، ثم نادى أبو بكر في المدينة المنورة : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من القرآن فليأت به „ (السيوطي) . „ وأخرج ابن أبي داؤد ايضا . . . أن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه . . . وقال السخاوي في جمال القراء : المراد انهما يشهدان على أن ذلك كمكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال أبو شامة : وكان غرضهم أن لايكتب الا من عين ماكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ ، قلت أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته „ (السيوطي كذلك) .

وفى رواية الطبرى عن زيد بن ثابت قال : لما كملت كتابة القرآن فى المصحف قرأته ، فوجدته تفقد فيه آية ٢٣ من سورة الأحزاب (٣٣ ـ ٢٣) „ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر و ما بدلوا تبديلا „ ، فبحثت عندها عند المهاجرين بيتا بيتا فلم أجدها عندهم ، ثم بحثت كذلك عند الانصار ، فلم أجدها الا عند خزيمة بن ثابت الانصارى ، فكتبتها ثم قرأت النسخة مرة أخرى فوجدت تفقد فيها آيتان من آخر سورة التوبة (٩ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩) . „ لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . الى : رب العرش العظيم „ فبحثت عند المهاجرين فلم أجدهما عندهم ، ثم بحثت عند الانصارى ، فلم أجد عندهم الا عند خزيمة آخر ، فأدخلتهما ثم قرأت ثالثا من أو له الى آخره ، فلما اطمأن خاطرى أنه جامع مانع لاينقص شئ ، قدمت نسخة الصحف الى أبى بكر فأثنى على ، فكانت عنده .

لا أبحث كثيرا عن ادخال الآيات على شهادة واحدة ، فالطبرى يصرح عن زيد بن ثابت „ خزيمة و خزيمة آخر „ ، بينما البخارى (٦٦ ـ ٢) يقول لآيتى التوبة أبى خزيمة ولآية الاحزاب الخزيمة بن ثابت . وذكر عن خزيمة بن ثابت أنه ذو الشهادتين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته كشهادتين (وله قصة) ولم يذكر سبب قبول شهادة أبى خزيمة رضى الله عنه . لعلهم وجدوا شهادة واحدة مكتوبة و شهادة أو شهادات أخرى من صدور الحفاظ الذين كانوا أميين ولكن حفظوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسا .

ذكر الرواة أيضا ردّ الشهادة الواحدة (فى هذا الصدد) ، فسيدنا

عمر رضى الله عنه قال : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله . . . آية ، وأن النبى عليه السلام كان قال : „ هو من كتاب الله " ـ لم تكن هناك شهادة أخرى فردوه . كأنه سهو من سيدنا عمر ، فالمراد بكتاب الله يجوز أن يكون التوراة (وهذا الحكم موجود فى التوراة المتداولة الآن أيضا) وان الكتاب معناه أمر الله (كما فى الآية: „ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وذكر أن فى قرآن سيدنا ابن مسعود التشهد أيضا ، ولم يكن فيه سورة الفلق وسورة الناس . وهو أيضا الاستنباط ، لا النص من صاحب الشريعة . فروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى عليه السلام كان يعلّم التشهد كما كان يعلّم السور من القرآن ، أو ظن أن كل ما يقرأ فى الصلاة فهو قرآن.

أماما يتعلق بالمعوذتين ، فمروى أن النبى عليه السلام كان عادة يستعملهما كالرقيمة ، يقرأهما وينفث فى كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه ، فكان سيدنا ابن مسعود لايكتبهما فى قرآنه (راجع تفسير ابن كثير بين آخرين) وهو أيضا من سؤ التفاهم ولم يبن على صراحة من النبى عليه السلام ، بينما روى آخرون من الصحابة أنهما من القرآن قرأهما رسول الله فى الصلوات .

فكان الأمر على هذا حتى سنة خمسة وعشرين أو ستة وعشرين للهجرة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه . (فدخلت فى تلك السنة جنود المسلمين فى الاندلس من جهة وفيما وراء النهر من حدود الصين من جهة أخرى ، كما ذكر الطبرى و البلاذرى بين آخرين) . فروى البخارى (١٩) „ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة . وقال القسطلانى (٢٠) فى

شـرح هـذا الحـديث أن هـذا وقـع قـرب أرزن الروم (أرضروم الحـالية فى تركيا) . فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالمصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك . فأرسلت بها الى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن زبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصـة . فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سـواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (وفى نسخة من صحيح البخارى : „ يخرق “) .

لانعرف كثيرا عن تطبيق أمر الحرق أو الخرق فى النسخ ماليس فى النسخة الرسمية . لعله يتعلق بنسخة أو نسختين عند المنافقين المعروفين الذين لفقوا أشياء فى نسخهم فأخذتها الشرطة وأتلفتها والا فقدبقى الى القرن الرابع للهجرة مواد دوّن على أساسها ابن أبى داؤد وآخرون كتبا ضخمـة فى اختلاف القرآن . وهذه الاختلافات تتعلق أما بالتلفظ حسب لهجات القبائل . أو بالتفسير الذى كتبه بعض الصحابة على نسختهم وفى عصر أولادهم وأحفادهم ، وهم الناس ، فجعلوه آية من القرآن . وهناك اختلاف وتناقض أيضا فى الروايات فبعضها تقول فى قرآن كذا كان هكذا . وفى رواية عن آخر يعكس ذلك تماما . فاذا تعارضا تساقطا ، وبقى المتواتر بدون شبهة .

نسخ عثـمان رضى الله عنه

فكتبوا أربع أو سبع نسخ لسيدنا عثمان رضى الله عنه ، أبقى عنده واحدة وأرسل أخرى الى مختلف مراكز الدولة الاسلامية ، ثم حدثت حوادث فى القرون المتاخرة من حريق أو سيل أو غير ذلك ، ونسب الى سيدنا عثـمان ثلاث نسخ فى عصرنا هذا . واحدة منها كاملة وهى فى استانبول (فى متحف توب قابى سراى) وجاءوا بها زمن الحرب العالمية الاولى عندما خـرجت الانكليز وشريف حسين . ونسخة أخرى فى تاشقند ، وكان فى دمشق . فلما احتلها تيمور لنك أخذها فى الغنيمة وجاءبها الى سمرقند عاصمته . ثم بعد قرون لما احتل الروس سمرقند نقلوه الى عاصمتهم بطرسبورغ (لينن كراد حاليا) فكان بها الى سنة ١٩١٩ م ولـما قتـل الشيوعـيون مـلكهم واحـتلوا العاصمة ، كان فى جيش الروس جنرال مسـلم اسمه على أكبر توبجى باشى ، أرسل كتيبة الـى قصـر الملك فأخـذ النسـخة وأرسـلها فى الفور فى قاطر السـكة الحديديه بكل سـرعة الـى تاشقند ، كما ذكرلى هو فى باريس رحمه الله ، وكان من اللاجئبين ، فلما عرف سلطات الشيوعيين بعد عدة ساعات أرسلوا قاطرا آخر فى عقب الأول ولكن لم يتمكنوا . وبعد برهـة لما تمكن الشيوعـيون من احـتلال تركستان عن جديد ، خـلّوا النسخة فى تاشقند وقالوا أى فرق اذا كان المال فى هذا الجيب أو ذاك الجيب ، مادام كلاهما لى ؟ ان حكومة قياصرة الروس كانت قد طبعت نسـخة مصـورة من هذه النسخة ، فى خمسين نسخة فحسب ، فالأصـل موجود وليس بكامل ، ولم يبق الا ثلثان والباقى نفـد فى ممر الدهور ، والاستاذ طه الولى الذى رآه منذ قريب يقول : ضاع الآن اكثره ، ولم يبق الا عدة أوراق .

والنسخة الثالثة فى مكتبة انديا أوفيس لائبريرى فى لوندرا ، جاءبها الانكليز فى سنة ١٨٥٨ م عندما هزموا جيوش سلاطين مغول واحتلوا مكانهم . وهذه النسخة أيضا غير كاملة ، ولم يبق الا النصف تقريبا ، ولكن من حسن الحظ بقى آخره حيث كتب الكاتب : „ كتبه عثمان بن عفان " . (رضى الله عنه) .

لا أجد وقتا اليوم للبحث فى صحة الانتساب الى هذه النسخ الثلاث .

تبو يب القرآن

قسم النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى ١١٤ سورة ، وفى كل سورة بين ثلاث الى ٢٨٦ آية ، ثم قسموا القرآن بعد ذلك فى سبعة أجزاء سموها منازل ، لأن النبى عليه السلام أوصى أن يتلو الناس القرآن بتدبر ولا يتلوه فى أقل من أسبوع . فقد ذكر ابن كثير أن النبى عليه السلام قال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم : فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك . وذكر أيضا أن ابن مسعود وتميما الدارى رضى الله عنهما كانا يقرآن جميع القرآن من جمعة الى جمعة . فكان لابد من تقسيمه الى سبعة منازل .

ان معنى هذه المصطلحات من آية وسورة ومنزل معنى عميق ، لطيف ، الآية من مادة أوى يأوى أى يذهب الى الفراش لينام . والسورة من السور وهو الجدار ، فكأن السورة معناها الحجرة أى الغرفة بينما المنزل هو حيث ينزل المسافر بعد سفر اليوم ويستريح ثم يداوم السفر بالغد . ففيه معنى عميق لطيف :

المسافر فى الدنيا فى سفر طويل يحتاج الى أن ينزل كل يوم فى منزله ، ويستريح فى حجرة وينام فى فراش .

والمسافر الى الله أيضا يحتاج الى منزل ، وغـــرفة وفراش ، أى الى منزل وسورة وآية ، وسفره لا الى نهاية . ويرمز رقم السبعة الى مالانهاية له ، ولذلك عدد المنازل فى القرآن سبعـــة والله أعلم . يقول الله فى القرآن : „ وهو معكم أينما كنتم ويقول ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ، ولكن لانـــراه ومعـــناه هو تعالى موجود واجب الوجود ، ونحن عميان . ومع ذلك نحب أن نذهب و نشوق الى خالقنا ومحبوبنا . اذا كان أحد لايرى ، ولا يعرف الطريق ، والطريق مملؤ بالعوائق ، فكيف يعمل ؟ الامكان الوحيد هو أن يدل المحبوب بالكلام كيف يتقدم وأين يرجع يمينا ويسارا الى غير ذلك . وهذه هى وظيفة كلام الله الذى هو هدى للمتقين .

صيانة النص القرآنى

أصل الاناجيل باليونانية ، والباقى كله مترجم منها الـى سائـر اللغات . ولذلك مربيال عـــلماء النصـــارى الألمان فى أواخر القرن الماضى أن يجمعوا جميع مخطوطات الأناجيل فيقارنوا بعضها مع بعض فجمعوا النسخ الكاملة والناقصة وحتى قطعات ، من جميع العالم ثم قارنوا كلمة كلمة . ونشروا نتائج المقارنة ، فقالوا :

Le materiel scripturaire se compose d' onciaux, de minuscule, de lectionnaires liturgiques, de papyrus, d' ostraca (textes brefs écrits sur tessons de poteries), de talismans, et enfin des differentes versions et des citations d' auteurs anciens, qui sont elles-memes a vérifier. Cette masse énorme depasse ce dont on dispose pour n' importe quel texte antique; elle a fourni quelque 200,000 variantes. La plupart sont des variantes insignifiantes : variations d' orthographes ou *lapsus calami.* Déja Westcott et Hort, en

donnant de chiffre, constataient que les sept huitiemes du texte étaient assures et que les variantes importantes ne portaient que sur une part infime.

(Robert et Feuillet, *Introduction a la Bible*, Paris, 2e ed. 1959, Vol. I, p. III).

انهم وجدوا فيها .. تقريبا مائتى الف اختلاف الروايات » وزادوا أن الثمن منهامبهم .

ولعله كان هذا هو الداعى لتأسيس معهد للبحث فى القــرآن فى جــامعــة مونيخ فى المانيـا ، وحاولـوا أن يجمعـوا فوتوغرافـات مخطوطات القرآن من جميع العالم . وفى السنة ١٩٣٣ م كان الأستاذ بريتسـل الـرئيس الثالـث لهذا المعهد وجـاء الـى باريس ليصـور المخطوطات التى توجد فى فرنسا (وفى المكتبة الأهلية فى باريس نسخة يظن المستشرقون الفرنســيون أنها من القرن الثانى للهجرة . وكنت حينذاک فى السوربون . فقال لى الأستاذ بريتسل أنه يوجــد عندهم فى ذلک الوقت اثنان وأربعون ألف من نسخ القرآن ، سواء كاملة أو قطعات وأنهم مشغولون بمقارنة هذه النسخ حرفا حرفا . وقبيل الحرب العالمية الثانية نشروا تقريرا مــوقتا ، فقــالوا انهــم الـى ذلک الــوقت لــم يجدوا اختلافات الرواية الا ماهو من سهو الكاتب،

وفى أثناء الحرب وقعت قنبلة أمريكية على هذا المعهد فلم يبق منه ولا ابرة واحدة . ولو جمع أحد مرة ثانية هذه المواد ، لأن الأصول محفوظة كلها ، فيصــلون باذن الله الى نفس النتيجة فلايوجد فرق بين المخطوطات ، وكذلک لايوجد فرق بين حفاظ القرآن ، وهم يعدّون بمئات الآلاف بين مشارق الأرض ومغاربها . الا مــاهو معروف منذ قديم الزمان من الاختلاف بين القراء فى تلفظ بعض الكلمات التى

لايغير المعنى ، وهو من رخصة النبى عليه السلام لحاجات لهجات القبائل العربية .

تراجم القرآن

اللغات تتغير بمرور الزمن ، وبعد عدة قرون تصير اللغة غير مفهومة للأجيال المتأخرة ، سواء باليونانية أو اللاطينية أو الفرنسية أو الروسية أو الانجليزية أو غيرها ، والاستثناء الوحيد هو اللغة العربية التى لم تتغير منذ ألف وخمس مائة سنة على الأقل سواء فى الصرف والنحو أو الاملاء أو التلفظ أو معانى الكلمات . لعل هذا الثبات وعدم التغير كان لازما لرسالة الله الأخيرة التى جاءبها الى البشر من لا نبى بعده . فلو كان النبى عليه السلام حيا اليوم لفهم الاذاعات والجرائد باللغة العربية كما نفهم اليوم القرآن والحديث .

ولكن القرآن لم يجئى للعرب فحسب بل كافة للناس بشيرا ونذيرا. فلانصلى الا بالعربية ، ولكن لامانع أن يقرأ العجمى القرآن والتفسير فى الترجمة .

يظهر أن ترجمة القرآن بدأت فى العصر النبوى فقد ذكر شمس الائمة السرخسى (٢١) : « روى أن الفرس كتبوا الى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية » . وفى رواية تاج الشريعة الحنفى زيادة فيقول : أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية « فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم - بنـام يزدان بخشاونده الخ) . وبعدما كتب عرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعثه اليهم ، ولم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم » (٢٢)

قال الجاحظ فى البيان والتبيين (٢٣) ان موسى بن سيّار الأسوارى

كان يفسر القرآن بالفارسية . (وهذا من القرن الثانى للهجرة) . وقال بزرك بن شهريار (٢٤) ان القرآن ترجم كاملا فى سنة ٣٤٥ هـ تقريبا الى أحدى لغات شمال الهند (كأنها السندية أو الملتانية) وفعلا توجد الى هذا اليوم تراجم القرآن بالفارسية والتركية الشرقية والتركية الغربية ، وهى من عمل علمائنا من العهد السامانى أى القرن الرابع للهجرة ، وقد نشروا منذ قريب فى ايران ترجمة القرآن وخلاصة تفسير الطبرى وكل ذلك بالفارسية ألفه جماعة من كبار العلماء بأمر الملك منصور بن نوح السامانى فى سنة ٣٤٥ .

القول بعدم جواز الترجمة

نرى مما مضى أن ترجمة القرآن الى لغات العجم قبلها العلماء المسلمون بدون أدنى نكير . أما القول بعدم جواز الترجمة فلم يحدث الا فى القرن الماضى فى تركيا العثمانية وفى مقاطعاتها العربية مثل سوريا و مصر . فلو تدبرنا وتعمقنا لوجدنا أن هذا معاصر لفتوح النصارى الأروبيين واستعمارهم بلاد الاسلام . فمعروف أنهم حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة . فلم يكتفوا بارسال المبشرين فى شتى الملابس ، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى فى المستعمرات العربية مثل شمالى افريقية . كانوا يخافون القرآن للنصرانية أكثر من سيوف المسلمين فأرادوا اتمام حصار قلعة الاسلام بمنع تراجم القرآن باللغة الاجنبية . فالمسلمون غير العرب لايعرفون العربية ولن يجدوا تراجمه بلغات يعرفونها ، فتبقى الساحة فارغة للنصرانية . كأن أحد المبشرين قال لبعض علماء الاسلام الساذجين : „ حقا القرآن معجزة ، لاتتحمل بلاغته الترجمة " . فوثب هذا العالم الساذج لشدة السرور وظن أن الفضل ماشهدت به

الأعداء ، وبدأ يتكلم حوله ويكتب أن القرآن تصعب أو تستحيل ترجمته، وتبعه آخـــرون . وفى الخطوة الثانية قالوا : „ القرآن لاتجوز ترجمته“ . وكأن هؤلاء المبشرين النصارى ظنوا أن ترجمة القرآن لايقـــوم بها الا العرب ، بينما التاريخ يقول ان المسلمين العجم هم الذين تعلموا العربية وترجموا القرآن الى لغاتهم لتـدريس أولادهـم وعـامة أهـل بلادهـــم الذين لم يدرسوا العربية . وهكذا يتضح لنا لماذا انحصرت الحركة ضد ترجمة القرآن ببلاد العرب وبالدولة العثمانية مركز الخلافة، ولم تصل الى الهند واندونيسيا وأفغانستان وايران مثلا .

توجد تراجم القرآن الآن فى جميع كبار لغـــات العالم ، وأيضا فى كثير من صغارها ، وبلغ العدد فى فهرستى المتواضع الى أكثر من مائة وأربعين ، وفى كثير منها أكثر من ترجمة واحـــدة . مثلا فى أردو أكثر من ثلاث مائة ، وفى الفارسية والتركية أكثر من مائة ، وبالانكليزية قريب من مائة ، وباللاتينية ثلاث وأربعون ، وبالفرنسية ست وأربعون ، الى غير ذلك . كنت سعدت بنشر كتاب اسمه „ القرآن فى كل لسان “ فيه تفصيل التراجم فى كل لغة مع أنموذج لسورة الفاتحة . الطبعة الثالثة منها كانت فى ســـنة ١٣٦٦ هـ ، وكانت عندى فى ذلك الوقت تراجم فى ٦٧ لغة . وتنتظر الطبعة الرابعة المنقحة المزيد فيها الى وسائل . لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

المراجع

(١) الفتوحات المكية ، ج ٣ ، ص ٦٠٧

(٢) المسند للامام أحمد ، ج ٥ ، ص ٢٦٥

(٣) سورة النجم ، آيات ٣٧ ـ ٤٢
(٤) ابن اسحاق : كتاب المبتدأ و المبعث والمغازى ، ص ١٢٨ ، فقرة ١٩٢
(٥) الصحيح : ٦٦ ـ ٤ ـ ٢
(٦) مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٥٢ ، و ج ٨ ص ٦٧٥
(٧) سيرة ابن هشام ، طبعة اوربا ، ص ٢٦٦
(٨) الروض الأنف ، ج ١ ص ٢١٧ ـ ٢١٨
(٩) وفاء الوفاء ، طبع بيروت ، ص ٨٥٧
(١٠) من حاشية ذيل تفسير القرآن لابن كثير ، ص ١٢
(١١) مسند الامام أحمد بن حنبل ، ج ٦١ ص ٤٠٥ ، سنن ابى داؤد : كتاب الصلاة ، باب امامة النساء : ٢ : ١٦٢ ـ الاستيعاب لابن عبدالبر ، قسم النساء ، رقم ١٠٧ ـ الوفاء لابن الجوزى ص ٣١٧ ، المطالب العالية لابن حجر رقم ٤١٥٩ عن ابن راهويه .
(١٢) البخارى : كتاب ٦٦ باب ٧ احاديث ١ ، ٢ ، ٣
(١٣) ذيل التفسير ، ص ٢٧
(١٤) **الاتقان فى علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، فى جمع القرآن و تدوينه**
(١٥) البخارى ، كتاب ٦٦ ، باب ٣ ، جمع القرآن ، حديث رقم ١
(١٦) راجع لتفاصيل أخرى : تفسير الطبرى ، وذيل تفسير ابن كثير ، واختلاف القرآن لابن ابى داؤد بين آخرين .
(١٧) الاتقان فى علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، فى جمع القرآن و تدوينه
(١٨) تفسير الطبرى ، ج ١ ص ٢
(١٩) البخارى : ٢٢ ـ ٣ ـ ٢
(٢٠) شرح القسطلانى على صحيح البخارى ، المجلد الرابع ، ص ٤٨
(٢١) المبسوط للسرخسى ، ج ١ ص ٣٧
(٢٢) النهاية حاشية الهداية ، لتاج الشريعة ، طبع دهلى ، ١٩١٥ م ، ج ١ ص ٨٦ ، حاشية رقم ١
(٢٣) البيان و التبيين ، ج ١ ص ١٢٩
(٢٤) عجائب الهند والصين ، ص ٢ ـ ٣